الفصل الرابع

مملكة قبرص
تحت حكم آل لوزينيان

تاريخ قبرص في القرن الثالث عشر

كانت جزيرة قبرص Chypre كما رأينا (الفقرة 15 من الفصل الثاني) قد انتُزعت من أيدي البيزنطيين ، اعتباراً من الحملة الصليبية الثالثة ، من قبل ملك إنكلترا ريتشارد قلب الأسد (بانتصار ريتشارد على البيزنطيين في ترميتوسيا Trémithoussia في 21 أيار 1191 م) . وفي أيار من عام 1192 م ، تنازل ريتشارد عن الجزيرة لملك القدس السابق گي دى لوزينيان ، وأنزل گي في الجزيرة عدداً كبيراً من الفرنجة المطرودين من الأراضي المقدّسة ، وهكذا نرى أن الشرق اللاتيني الذي ألقى به صلاح الدين في البحر قد قام ثانية هناك في وسط الأمواج .

خَلَف گي في حكم جزيرة قبرص أخوه أموري دى لوزينيان Amaury de Lusignan (1194–1205 م) ، وكان أموري بفضل ما تميّز به من سياسة حازمة وحاذقة المؤسس الحقيقي للدولة التي قامت في الجزيرة . ثم في عام 1195 م حصل من الإمبراطور هنري السادس على لقب ملك قبرص ، وفي خريف عام 1197 م أتى المستشار الإمبراطوري كونراد فون هيلدسْهايم Konrad von Hildesheim وتوّجه في نيقوسيّا Nicosia عاصمة الجزيرة .

ثم بوفاة أموري (نيسان 1205 م) انتقل تاج قبرص إلى ولده هوك الأول Hugues I^er الذي لم تمهله الأقدار للقيام بدور فعّال لأنه ولي العرش في العاشرة ، وتوفي في الثالثة والعشرين (عام 1218 م) . وأعقب هوك هو الآخر طفلاً قاصراً صار فيما بعد هنري الأول الجسيم Henri I^er le Gros (1218–1253 م) . أما الوصاية على عرش هذا الأخير فقد قام بها جان ديبلان سيّد بيروت .

ثم في عام 1228 م عندما كان الإمبراطور فريدريك الثاني متجهاً إلى الأرض المقدّسة[1]، توقف بقبرص (21 تموز 1228 م) . وفي غضون مشاحنات عاصفة ، قام فريدريك بتجريد جان ديبلان من الوصاية التي اضطلع بها من تلقاء نفسه دون إذن الإمبراطور (انظر الفقرة 19 من الفصل الثاني) . ولدى استعادة الإمبراطور إيطاليا عهد بحكم قبرص إلى بارونات من أتباعه ، لكن جان ديبلان استطاع على رأس المعادين للإمبراطورية (ناشراً بذلك صراع أنصار الإمبراطور وأنصار البابا إلى قبرص) أن يهزمهم بالقرب من نيقوسيّا (14 تموز 1229 م) ، وأن يجبرهم على تسليم معقلهم الأخير ، وهو حصن ديودامور Dieud'amour (منتصف أيار 1230 م) .

وكما رأينا من قبل (الفقرة 19 من الفصل الثاني) ، أرسل فريدريك الثاني إلى المشرق ، عقب ذلك ، حملة عسكرية يرأسها الماريشال ريكاردو فيلانجييري Riccardo Filangieri ، الذي حطّ في أيار 1232 م بقبرص . ورأينا أيضاً كيف أن جان ديبلان استطاع ، على رأس طبقة نباء قبرص والأرض المقدّسة ، أن يحرز على فيلانجييري نصراً حاسماً في أگريدي Agridi (15 حزيران 1232 م) . وأما آخر القلاع التي احتلها الإمبراطوريون في قبرص وهي سيرينا Cérines فقد سقطت في نيسان من عام 1233 م .

بعد وفاة هنري الأول (18 كانون الثاني 1253 م) ، والحكم الاسمي لولده القاصر هوك الثاني (1253–1267 م) ، انتقل تاج قبرص إلى أمير من عائلة حكّام أنطاكية ينتمي إلى آل لوزينيان من طرف أمه ، هو الملك هوك الثالث .

كان هوك الثالث (الذي حكم بين 1267–1284 م) حاكماً متّقد الذكاء نافذ البصيرة ، ولكنه كان مقيّد اليدين بسبب انعدام تبعيّة الإقطاعيين له . ورأينا سابقاً كيف أنه لما استُدعي إلى عرش «مملكة القدس» ، أي بالأحرى عكّا (1268 م) ، حاول دون جدوى إعادة الانضباط إلى صفوف البارونات والعوام في هذه المدينة (انظر الفقرة 25 من الفصل الثاني) . حتى أن طبقة الفرسان القبارصة نفسها ، رفضت خوفاً على امتيازاتها أن تتبع هوك إلى سورية ، فيما خلا بعض الحملات العسكرية القصيرة .

---

(1) راجع ما تقدّم أعلاه ، ص 73 .

أما الملك هنري الثاني (1285–1324 م) وهو ابن هوك الثالث ، فكان رجلاً بائساً تنتابه الأمراض وتعوده نوبات الصَّرع وتنقصه الرجولة . ولقد رأينا (الفقرة 25 من الفصل الثاني) كيف أنه لم يستطع في عام 1291 م الوقوف في وجه الهجوم المملوكي ، وإنقاذ مدينة عكّا أو باقي المعاقل الفرنجية في الأرض المقدّسة .

ومن جرّاء هذه الكارثة التي أفقدته اعتباره ، قام أخوه أموري بتجريده من سلطاته واعتقاله ، يسانده في ذلك قسم من طبقة النبلاء القبرصية ، وقام فيما بعد (شباط 1310 م) بنفيه إلى صقلية . ولكن بعد برهة يسيرة (5 حزيران 1310 م) تم اغتيال أموري على أيدي الموالين لنظام الحكم السابق ، وقام زعيمهم آك دى بيتسان Ague de Betsan بإعادة تنصيب الملك هنري الثاني (أيلول 1310 م) . أما عائلة إيبلان التي انضمت إلى صفوف المعادين لهنري فقد نالها عقاب صارم ، وكانت تلك ضربة قاصمة في صميم الإقطاعية لصالح النظام الملكي .

الحملة الصليبية على قبرص
هوك الرابع وبيير الأول

تمكن الملك هوك[1] الرابع Hugues IV (1324–1359 م) ، وهو ابن أخ هنري الثاني ، من إعادة تأسيس السلطة الملكية . وفي عام 1343 م ، أطلق دعوة «الاتحاد المقدّس» ، واستطاع بمعونة البابا والبندقية وفرسان رودس Rhodes ، انتزاع إزمير Smyrne من أتراك آسيا الصغرى (28 تشرين الأول 1344 م) – (انظر الفقرة 4 من الفصل الثامن) .

أما بيير الأول (1359–1369 م) ابن هوك الرابع ، فقد كان فارساً مغامراً حسب أنموذج الفروسية الرفيعة لملوك ڤالوا[2] . احتل في كيليكيا ميناء كوريكوس Korikos ، حيث قام آخر المدافعين الأرمن عنه تحت وطأة هجوم الأتراك بتسليم أنفسهم إليه (15 كانون الثاني 1361 م) ، ثم انتزع من بعض الأتراك الآخرين (من إمارة تيكة Téké) ميناء أضاليا Sattalie على ساحل پامفيليا (24 آب 1361 م) .

---

(1) سبق أن ذكرنا أنّ صوابه (أوك) ، لأن حرف H لا يلفظ في الفرنسية .

(2) ملوك ڤالوا les Valois هم فرع من أسرة آل كاپيه Capet الملكية الفرنسية ، حكموا فرنسا من عامَ 1328 إلى 1589 م .

ولما عقد العزم على مهاجمة المماليك في مصر ، مضى يلتمس النجدات في إيطاليا وفرنسا وفي الإمبراطورية المقدّسة (تشرين الأول 1362 م) . وفي 10 تشرين الأول 1365 م ، استولى فجأة على ثغر الإسكندرية ، ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بها واضطر على الفور إلى النزول عن هذا الغزو . ولقي كل من البنادقة والجنويين ، الذين أضرّت هذه الحملة الصليبية غير الموفقة بمصالحهم التجارية في مصر ، مشقّة بالغة في استعادة امتيازاتهم التجارية .

ولقد قام پيير الأول بتنفيذ غارات أخرى ، على كره منه في ذلك ، على الشاطئ السوري ، تجاه طرابلس وطرطوس (عام 1367 م) ، ثم عاود دونما طائل يستثير في أوروبا الدعوة إلى حملة صليبية جديدة .

ولما رجع إلى قبرص دون الحصول على أية معونة ما (1368 م) ، وجد پيير الأوضاع هناك لا تطاق : فمن جهة غيرة زوجته الفظيعة إليونور داراگون Eléonore d'Aragon وتهتّكها الأخلاقي ، ومن جهة أخرى حنق طبقة النبلاء عليه . وإذ ضاق ذرعاً بالمصائب المتوالية عليه ، فقد بادر إلى مواجهة البارونات بتدابير قاسية . فما كان من هؤلاء البارونات ، بشيء من التواطئ مع أخيه جان ، إلا أن بادروا إلى اغتياله بشكل مفجع (17-18 كانون الثاني 1369 م) . وقام القتلة بتنصيب ابن ضحيتهم ملكاً جديداً ، وهو الطفل پيير الثاني Pierre II .

السيطرة الجنوية على قبرص والغزو المملوكي لها

استهلّت فترة حكم پيير الثاني (1369-1382 م) بكارثة ، ففي يوم تتويجه بالذات (12 تشرين الأول 1372 م) ، نشب في فاماگوستا ، المرفأ الرئيسي في الجزيرة ، شجار بين السكان البنادقة والسكان الجنويين . ولدى شعور الجنويين بأنهم قد كُسرت شوكتهم ، قاموا بإرسال عمارة بحرية وعلى متنها قوة إنزال استولت على فاماگوستا (تشرين 1373 م) .

أما پيير الثاني الذي وقع بين أيديهم ، فقد أُجبر على القبول باتفاقية باهظة الثمن تقضي بإبقاء المرفأ القبرصي الكبير تحت سيطرة جمهورية جنوة . وعبثاً حاول پيير اجتلاب حلفاء له ضد الجنويين ، فتزوج ابنة دوق ميلانو ، وهي ڤالنتينا ڤيسكونتي Valentina Visconti ، بيد أنه لم يوفّق البتة في استعادة فاماگوستا .

خلف پيير الثاني في الحكم عمّه جاك الأول Jacques Ier ، الذي كان آنذاك محتجزاً في جنوة كرهينة . وتميّزت فترة حكم جاك (1385-1398 م) بإرهاق الشعب بالضرائب لدفع الجزية المترتّبة للجنويين . وفوق ذلك ، انفرد الجنويون باحتكار التجارة القبرصية ، وهذا الأمر ، لمّا دفع بالتجار البنادقة إلى الهجرة ، قد أدّى إلى افقار الجزيرة بشكل خطير .

أما ابن جاك الأول وخليفته في الحكم ، وهو الملك جانوس Janus (1398-1432 م) ، فلم يفلح هو الآخر بالتملّص من السيطرة الجنوية .

ثم ما لبثت أن ظهرت في الأفق محن أخرى : ففي عام 1426 م جرّد سلطان مصر[1] (قاعدة الدولة المملوكية) ضد قبرص حملة عسكرية اشتبكت بالجيش القبرصي وسحقته في موقعة خيروكيتيا Khiérokitia (في 5 تموز 1426 م) ، وأوقعت بالملك جانوس أسيراً ، وقبل أن تُبحر هذه الحملة من الأراضي القبرصية قامت باجتياح العاصمة نيقوسيّا (10-12 تموز) .

عقب هذه الكارثة ، اندلعت ثورة شعبية قام بها الفلاحون اليونان الحاقدون على السادة والإكليروس اللاتين . ولم يتيسر إخماد هذه الفتنة حتى العام القادم (أيار 1427 م) . أما فيما يتعلق بالملك جانوس الذي اقتيد أسيراً إلى مصر ، فقد توجّب عليه لقاء استعادة حريته الاعتراف بنفسه تابعاً للسلطنة المملوكية في القاهرة (1427 م) .

تزوّج ملك قبرص جان الثاني Jean II (1432-1458 م) ، وهو ابن جانوس وخليفته ، من الأميرة البيزنطية إلينا پاليولوك Hélène Paléologue ، التي عمدت إلى مُحاباة المذهب الأرثوذوكسي اليوناني ، وبالأحرى العنصر اليوناني عموماً ، وذلك بفضل النفوذ الذي استطاعت اكتسابه لدى الحكومة . وعند هذه النقطة بالذات ، يبدأ عهد اليقظة الهيلينيّة القبرصيّة .

* * *

(1) هو السلطان المملوكي الأشرف برسباي ، فتحت قبرص بأمر منه ومثل الملك جانوس بين يديه أسيراً (829 هـ = 1427 م) . انظر : الضوء اللامع للسخاوي ، 3 : 8 ؛ وبدائع الزهور لابن إياس .

جاك الثاني ابن السفّاح

لما مات جان الثاني (26 تموز 1458 م) ، خلّف عرش قبرص لابنته شارلوت Charlotte ، زوجة لويس دى ساڤوا Louis de Savoie . وكان لجان كذلك ابن غير شرعي ، وهو الذي صار فيما بعد الملك جاك الثاني ، المعروف بابن السفّاح Jacques II le Bâtard ، والذي كان قبل ذلك قد عُيّن أسقفاً لنيقوسيّا .

لم يتورع هذا الحبر النهضوي ، الذي اقترف كسيزار بورجيا César Borgia العديد من الجرائم السياسية لصالحه الشخصي من أجل الاستئثار بالعرش ، عن التوجّه إلى مصر لطلب معونة السلطان الأشرف . وبصحبة المماليك الذين أمدّه بهم السلطان ، نزل جاك في قبرص وأقصى شارلوت عن الحكم واغتصب العرش (1460 م) .

لم تفتقر حكومة جاك الثاني (1460–1473 م) إلى الدّهاء ، ولّما قام البارونات الفرنسيون في الجزيرة بمقاطعته ، أحاط نفسه ببطانة من شُذّاذ الآفاق الصقلّيين والأراگونيين . وبعد أن نجح في انتزاع حصن سيرينا Cérines من أواخر قوى الشرعيين (أيلول – تشرين الأول من عام 1463 م) ، قام باسترجاع فاماگوستا من الجنويين (6 كانون الثاني 1464 م) ، وقد أدّى هذا النصر الباهر إلى انضواء حتى الشرعيين أنفسهم تحت سيطرته .

وعرف جاك الثاني أيضاً كيف يستعين بالسكان الأصليين من اليونان ، وأخيراً ، بادر إلى التخلّص من الحامية المملوكية التي كان يدين لها بعرشه (عام 1464 م) ، إثر مجزرة تم تنفيذها بغاية الحذق ، بحيث لم تؤدِّ إلى تكدير علاقته مع سلطان مصر[1] .

رغب جاك الثاني بالحصول على حلف البنادقة ، فتزوّج من كاترينا كورنارو Caterina Cornaro البندقية . وبعد وفاة جاك (6 تموز 1473 م) ، ثم وفاة ابنه ، الطفل جاك الثالث (1474 م) ، انفردت الملكة كاترينا كورنارو بالحكم (1474–1489 م) . وعن طريق هذه الملكة ترسّخ النفوذ البندقي في قبرص دون أي منازع . ثم في عام 1489 م ، أجبر البنادقة كاترينا على التنحّي عن الحكم لصالح جمهورية البندقية .

---

(1) وكان السلطان المملوكي آنذاك الظاهر خُشقدم .

قُدِّر لقبرص أن تبقى تحت الملكية البندقية من عام 1489 م إلى الفتح العثماني الذي تم سنة 1570–1571 م ، ففي مستهلّ شهر آب من عام (1571م) استخلص الأتراك آخر معقل في الجزيرة ، وهو فاماگوستا[1] ، وعُقب ذلك أُلقي القبض على القائد الذي دافع عنها ببطولة ، وهو براگادينو[2] Bragadino ، ونُكِّل به بمنتهى الوحشية .

طبائع الحكم الملكي في قبرص

كانت لمملكة قبرص المدارة وفق «دواوين القدس» *les Assises de Jérusalem* ، من حيث المبدأ نفس أنظمة الحكم المعروفة في الأرض المقدّسة . فقد كان دفّة الحكم تعود في نهاية المطاف إلى هيئة الإقطاعيين المؤتلفة في نيقوسيّا ضمن المحكمة العليا *Haute Cour* أو محكمة المُقطعين *Cour des Liges* .

إلا أنه على الصعيد العملي ، غدا النظام الملكي في قبرص أقوى بكثير مما هو عليه في عكّا . ففي قبرص ، على نقيض ما هو جار في الأرض المقدّسة ، كانت الملكية سابقة للإقطاعية ، طالما أن گي وأموري دى لوزينيان كانا هما من قاما ، بمحض مشيئتهما الشخصية ، بتوزيع الإقطاعات . وكذلك ، على نقيض الأرض المقدّسة أيضاً ، لم يكن هناك في قبرص إقطاعات لها من الحجم بحيث تقوى على تجاوز السلطة الملكية .

وفضلاً عن ذلك ، بينما كان النظام الملكي في القدس يتعرض ، من خلال تملّك النساء ، بشكل دائم إلى تغيّر السلالة الحاكمة ، فإنه في قبرص كان حُكراً لآل لوزينيان بشكل مباشر ، ثم (بدءاً من عام 1276 م) لآل حكّام أنطاكية – لوزينيان ، الذين حكموا دون انقطاع في نيقوسيّا .

---

(1) بقي اسم «فاماگوستا» في أذهان الإنكشارية اليرلية من الدمشقيين الذين شاركوا في وقائعها : الماغوصة ، وكانت معارك هائلة سُفك فيها من الدماء الشيء الكثير . وإلى اليوم مازالت بدمشق كناية شعبية قديمة تقول : هيك رميتنا بهالماغوصة ؟ رغم أن أحداً لا يدري ما الماغوصة ، ويظنونها الورطة أو «الطابوسه» . وفي التركية ما زال اسم المدينة إلى اليوم : Gazimagusa غازي ماغوصة .

(2) كتب گروسّيه الاسم بالصيغة الفرنسية Bragadin براگادان ، والصواب ما أثبتناه أعلاه على اعتبار أن الرّجل إيطالي الأصل .

في الأرض المقدّسة أضحى النظام الملكي ، الذي كان سابقاً يتمتّع بقدر لا بأس به من القوّة في عهد مملكة القدس (1100–1187 م) ، في طريقه إلى الضعف والانحدار المتدارك في عهد مملكة عكّا (1192–1291 م) . أما في قبرص فعلى العكس ، كان النظام الملكي المقبوض على زمامه نظرياً بيد طبقة النبلاء تبعاً لقوانين «الدواوين» ، يتخلص باستمرار من ربقة النبلاء في القرن الرابع عشر ، كما رأينا سابقاً في مثالي هوك الرابع وبيير الأول . لقد حكم پيير المذكور كملك مطلق السلطة ، ورغم أنه غُلب في الخاتمة ، فإن النظام الملكي من بعده لم تتباطئ مسيرته المتصاعدة حتى عهد جاك الثاني ابن السَّفاح ، المحرِّك الحقيقي للنهضة الإيطالية وفق الفلسفة المكياڤيليّة[1] .

الطبقات الاجتماعية ، غنى مملكة قبرص

إن طبقة النبلاء القبرصية التي كانت سَراة عائلاتها تحمل ألقاباً مأخوذة عن ألقاب أجدادها في الأرض المقدّسة بقيت شديدة الولاء لمنبتها الأصلي الفرنسي . وبقيت الفرنسية اللغة الدارجة في بلاط آل لوزينيان وفي الأوساط الأرستوقراطية . ولاحقاً في عام 1507 م ، نجد أحد الرّحالين يقول عن قبرص : «كل من في هذا البلد ، وبخاصة النبلاء ، فرنسيون أقحاح مثلنا نحن في فرنسا» .

وما أن اجتُثّت من الأرض المقدّسة ونُقلت إلى قبرص بعيداً عن المعارك ، حتى بدأت الطبقة النبيلة المزدهرة تنغمس في الكسل والبطالة . وفي عام 1350 م صوّر لنا الرّحّالة لودُوف فون زُودْهايم[2] Ludolf von Sudheim مشهداً مذهلاً فاضحاً لحياة المتع والشهوات التي عاشها أسياد قبرص ، بترف شرقي بحت .

---

(1) نسبة إلى نيكّولو ماكياڤيلّي Niccolo Machiavelli : سياسي وكاتب إيطالي من فلورنسة (1469–1527 م) ، تولى أمانة سرّ مستشاريتها على عهد حكامها من آل ميديتشي . ألّف كتابه الشهير «الأمير» *il Principe* (إل پرينتشيپه) في عام 1513 م ، ومن المبادئ التي طرحها فيه أن «الغاية تبرّر الواسطة» ، وأما نظريته الواقعية في السياسة فهي تقوم على محاولة الارتقاء بنظام جديد ، متحرّر وعلماني وأخلاقي ينزّه الناس عن نوازع الشر .

(2) لودولف فون زودهايم (ويعرف كذا باسم فون زوخم Ludolf von Suchem) رحّالة ألماني شهير ساح في المشرق خلال خمسة أعوام (1336–1341 م) ، وألّف عن رحلته كتابه : «وصف الديار المقدسة والطرق المؤدية إليها» ، نشرته «جمعية نشر نصوص حجاج فلسطين» (PPT) بلندن : *Description of the Holy Land and the Way Thither* .

من جهة أخرى ، بدأت هذه الطبقة النبيلة ، التي كانت تقريباً فرنسية على وجه الحصر في القرن الثالث ، بالسماح لعناصر إيطالية بالدخول فيها في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، وبخاصة من الصقلّيين ، وكذلك من القطلانيين والأراگونيين .

لقد نتج غنى المجتمع القبرصي عن الوضعية الاستثنائية لهذه الجزيرة بالنسبة لتجارة المشرق . وفضلاً عن ذلك ، أدى سقوط عكّا والممتلكات الفرنجية الأخرى في الأرض المقدّسة ، عام 1291 م ، إلى جعل قبرص المركز الرئيسي لهذه التجارة .

وورثت موانئ قبرص ، مثل فاماگوستا Famagusta ولارناكا Larnaka وليماسول Limassol وبافو Baffo ، الحركة التجارية العائدة لكل من طرابلس وصُور وعكّا ويافا على السّاحل الشامي . وأضحت مدينة فاماگوستا[1] البحرية خصوصاً ، في الأراضي المسيحية ، السوق الأكبر للسكّر والتوابل والأحجار الكريمة والحرير. وإلى هذا الميناء بالذات حوّلت كل من البندقية وجنوة وپيزا وكالاتها التجارية .

واستحوذت هذه الوكالات التجارية الإيطالية في قبرص ، كما فعلت بالأمس القريب في سورية ، على القسم الأعظم من الأعمال التجارية . وكما جرى في سورية سابقاً ، تمتّعت المستوطنات الجنوية والبندقية والپيزية باستقلال ذاتي كبير .

وأدارت هذه المستوطنات شؤونها وفق قوانينها خاصة ، تحت توجيه مفوّض معيّن من قبل الوطن الأم ، يحمل لقب «پودستا» podestà عند الجنويين و«بايل» [2] baïle عند البنادقة . ولقد كان هؤلاء المفوّضون بمثابة قناصل عامّين حقيقيين ، ولهم مرتبة السفراء ويتمتعون باعتبار فائق لدى بلاط نيقوسيّا . ولقد شاهدنا كيف استفادت المستوطنة الجنوية من ذلك ، للاستيلاء على فاماگوستا ، حيث بقيت مسيطرة عليها من عام 1373 إلى 1464 م .

---

(1) تقع فاماگوستا على الساحل الشرقي لجزيرة قبرص ، وفي القرون الوسطى كانت عاصمة قبرص بسبب أهميتها التجارية المذكورة .

(2) البايل لفظة فرنسية ذات أصل إيطالي : Balì أو Balivo ، مصطلح تاريخي قديم يعني : المحافظ .

مع ذلك ، لم يكن اللاتين ليؤلّفوا ، سواء أكانوا فرنسيين أو إيطاليين نبلاء أم بورجوازيين ، أكثر من السلك الإداري للمملكة القبرصية . وأما جمهور الشعب فقد بقي كما هو مؤلفاً من اليونان ، من الفلاحين الأرقّاء (*pariques* أو *perpiriens*) أو من الأحرار (*éleſthères*) . ويضاف إلى ذلك أن اليونان كانوا يدخلون بيسر في السلك الإداري أو الجيش ، وعن طريق ذلك ، خصوصاً ما بعد عام 1369 م ، توصّلوا إلى رتبة النبالة نفسها .

إن أخطر الفوارق ما بين اللاتين واليونان كانت المذاهب الكنسية[1] ، فإن الكنيسة اللاتينية التي أوجدت في قبرص بعد غزوها أسقفية (في نيقوسيّا) وثلاث مطرانيات ، لم تتمكن من إلغاء الكنيسة اليونانية ، ولكنها أقصت المطارنة اليونان بعيداً عن المدن الكبرى . ومراراً ما قام ملوك آل لوزينيان بحماية رجال الإكليروس اليونان من سطوة الأساقفة والرسل البابويين القادمين من روما .

الفنون والآداب في قبرص

تركت العمارة القوطية في قبرص شواهد رائعة على فترة الهيمنة الفرنسية . فأوابد العصر الأول ، مثل كاتدرائية نيقوسيّا (النصف الأول من القرن الثالث عشر) ، وكاتدرائية سان جورج للاّتين Saint-Georges des Latins في فاماگوستا (نهاية القرن الثالث عشر) توضح بجلاء تأثير منطقة «إيل دى فرانس»[2] .

أما العصر الثاني (كاتدرائية سان نيكولا Saint-Nicolas في فاماگوستا ، التي بُدئ بعمارتها عام 1308 م) فيدلّ على تأثير شامپانيّ . وأما في العصر الثالث (نهاية القرن الرابع عشر) ، فيظهر تأثير الجنوب الفرنسي le Midi (كدير لاپاييس Lapaïs) . وأما العصر الرابع (القرن الخامس عشر) ، فيكشف أثر قطالونيا (كقصر نيقوسيّا الملكي) وإيطاليا الشمالية . وأخيراً ، طراز عصر النهضة الذي ترسّخ تحت فترة سيادة البندقية .

---

(1) وتلك كانت من أوضح الأدلّة على أن الغاية من الحروب الصليبية لم تكن مجرّد «إنقاذ المقدّسات المسيحية» من أيدي المسلمين «البرابرة» ، بل الأطماع التوسعية الاستعمارية من جهة ، ومن جهة أخرى القضاء على مذهب الأرثوذوكسية الشرقي .

(2) إيل دى فرانس Ile-de-France هي اليوم إقليم إداري في وسط فرنسا باتجاه الشمال ، يشمل باريس وما يجاورها . نشأت بشكل مقاطعة في القرن الخامس عشر .

وعلى صعيد العمارة المدنية ، ينبغي الإشارة إلى قصور السهول ، التي بقيت مستوحاة من الأسلوب البيزنطي (كقصر سيرينا) ؛ وقصور الجبال ، المستوحاة من الأسلوب الفرنسي (مثل قصر سان إيلاريون Saint-Hilarion ، أو ديودامور Dieud'amour ، وقصر كانتارا Kantara ، وقصر بوفاڤان Buffavent على سبيل المثال) .

يمكن لنا أن نعدّد من بين مصادر الأدب القبرصي المكتوب بالفرنسية ، أعمال المؤرخين الإخباريين التاليين : فيليب دى نوڤارا Philippe de Novare ، المذكور سابقاً (الفقرة 6 من الفصل الثالث) ، وجيرار دى مونريال Gérard de Montréal ، مؤلّف «مآثر القبارصة» *les Gestes des Chiprois* (حوالي عام 1320 م) . ويمكننا كذلك أن نُلحق بحياة المجتمع القبرصي بضعة مؤلفات لفيليب دى ميزيير البيكاردي[1] le Picard Philippe de Mézières (الذي عاش في الفترة الواقعة بين 1326–1405 م تقريباً) ، ومنها على وجه الخصوص كتابه الموسوم بعنوان : «رؤيا الحاج العجوز» *le Songe du vieil pèlerin* .

ومن بين التواريخ الإخبارية القبرصية المكتوبة بالإيطالية ، نذكر تاريخ أمادي Amadi (يصل حتى عام 1442 م) ، وتاريخ سترامبالدي Strambaldi (من عام 1306 إلى 1458 م) ، وتاريخ فلوريو بوسترون Florio Bustron (يصل حتى عام 1489 م) .

ومن بين التواريخ الإخبارية المكتوبة باليونانية هناك كتابان ، أحدهما ألّفه ليونس ماخايراس Léonce Makhairas (يدوّن بالأخص أحداث الفترة الممتدة بين 1359–1458 م) ، والآخر جورجيوس بوسترون Georges Bustron (من عام 1456 إلى 1501 م) .

وكما نرى من خلال هذه الأسماء الأخيرة ، كانت يقظة الهيلينيّة القبرصية قد شرعت بالظهور حوالي أواخر سلالة ملوك لوزينيان ، ثم لم يقف دونها أي حائل أمام متابعة نموّها تحت الهيمنة البندقية . ثم أدّى الفتح التركي عام 1571 م لمّا كسح العنصر اللاتيني خارج قبرص ، إلى ترسيخ نجاح هذه الردّة الهيلينية .

---

(1) البيكاردي le Picard : نسبة لإقليم Picardie القديم في فرنسا ، وهو يتألف من هضبة تقع إلى الشمال من حوضة باريس ، وكان يضم سبع مقاطعات كبرى .

أما تلك الحضارة الزاهرة التي شادها آل لوزينيان ، فلم يبق منها اللّهم سوى شواهد أثرية لا زالت شاخصة إلى يومنا الحاضر ، من كاتدرائياتهم القوطية البديعة .

* * *